المحاضرة الثانية 1/2

فالكتب السماوية موجهة بتعاليمها إلى جميع الناس العامة منهم والخاصة، ولهذا فهي تقوم باستخدام الأمثلة والصور والرموز لإيصال المعنى للناس، مما جعل وجود اختلاف في فهم هذه النصوص بين من يأخذ **بالظاهر** وهم العامة ومن يأخذ **بالباطن** وجوهر معانيها وهم الخاصة، وهذا ما يجعل التأويل في نظر فيلون ضروري لفهم حقيقة النصوص من جهة وجعل فهمه متاح لعامة الناس من جهة أخرى.

وهنا فيلون يشبه النص بالجسم والمعنى الرمزي بالروح، إلا أنه في الغالب يميل فيلون إلى الأخذ بالمعنى الرمزي على حساب المعنى الحرفي إن الدافع لوضع قواعد وشروط دقيقة من أجل فهم النص الديني هو طبيعة هذا النص من حيث أنه نص مقدس ووحي إلهي حتى لا تكون عملية التفسير عملية ذاتية، وتمحورت عملية التفسير حول ثلاثة معاني أساسية وهي:

1- الالتزام بحقيقة النص.
2- مغزاه الأخلاقي.
3- دلالته الروحية.

ولقد كان للتأويل اليهودية دور مؤثر في فهم النص المقدس، وهذا ما يتجلى في الصراع بين الأخذ بحرفية النص أثناء تفسيره أو برمزيته، مما أدى إلى ظهور مدرستين متميزتين داخل الكنيسة، كانت الأولى بالإسكندرية والثانية بأنطاكية ولقد أخذت الأولى بالقراءة الرمزية للنص أما الثانية فأخذت بالقراءة الحرفية للنص

كان **فيلون** اول مفكر يهودي اعتبر بعض احداث في عهد القديم لا يمكن فهمها او تفسيرها جيدا الا عن طريق التأويل او المجازية، **(قد استخدم المسيحيون والمسلمون هذا الاسلوب في تفسيراتهم للكتب السماوية فيما بعد).** بهذه الطريقة استطاع **فيلون** التخلص من المشاكل التي تواجه التفسيرات الصعبة للعهد القديم. حاول تفسير الشخصيات الكبيرة في عهد القديم (الكتاب المقدس) وسلوكها بين الفضيلة والرذيلة ولكن عادة كان يجعل من النفوس المغتربة تواقة للعودة اعتناق اليهودية.

فيضع **فيلون** ثلاث طرق لعودة النفس الى مقامها-:

الاولى – هي طريق المجهادة والزهد وسماه بطريق يعقوب وهو طريق الصوفيين والمريدين.

الثانية – طريق المعرفة او الدراسة وسماه بطريق إبراهيم.

الثالثة – الطريقة الاخيرة هي طريق الانبياء التي هي هبة الهية وسماه بطريق اسحاق. بهذه جعل فيلون اليهودية ديانة ملائمة لكل الازمنة وكل الاماكن. ص252 ايميل برييه.

حاول فيلون ان يستخدم هذه الطريقة الرمزية لتحليل رواية **الخلق،** مقتل هابيل على يد اخيه قابيل، الطوفان ايام نوح، بلبلة الالسنة في بابل، ومبادئ كثيرة في الشريعة الموسوية.

غالبا ما كان فيلون يقبل المعنى الحرفي لآية من الكتاب المقدس ثم يقدّم تفسيره القائم على التأويل بالقول: «**ربما علينا ان نتأمل في هذه الامور من وجهة نظر رمزية**». ومن المؤسف ان كتابات فيلون حجبت المعاني الواضحة للأسفار المقدسة وأبرزت المدلولات الرمزية.

لنتأمل على سبيل المثال ما ورد في الترجمة *السبعينية*، : «صنع الرب الاله لآدم وزوجته ثيابا من جلد وألبسهما». رأى اليونانيون ان صنع الثياب ينتقص من وقار الاله الاسمى، لذلك وجد **فيلون** معاني رمزية في هذه الآية. حيث فسر ذلك في قوله: «ان التعبير **‹ ثياب من جلد›** هو تعبير مجازي يشير الى جلد الانسان، اي جسدنا. فالله خلق العقل اولا ودعاه آدم، ثم خلق الحواسّ وأطلق عليها اسم الحياة. بعد ذلك كان لا بد ان يخلق جسدا، ودعاه بشكل مجازي ثوبا من جلد». وبهذه الطريقة، حاول فيلون ان يفلسف فكرة صنع الله ثيابا من جلد لآدم وحواء.

ويدعون فيلون للتأمل ايضا في سفر **التكوين 2:10-14** التي تتحدث عن الانهر الاربعة التي تخرج من عدن لتسقي الجنة. حاول فيلون هنا ايضا ان يتجاوز ما هو ظاهر للعيان. فبعد ان علّق على معالم الارض، قال فيلون: «ربما تتضمن هذه الفقرة ايضا معنى

مجازيا. فالأنهر الاربعة رمز الى الفضائل الاربع». وقد أوّل هذه الآية قائلا ان نهر فيشون يمثل التعقّل، ونهر جيحون يشير الى الرزانة، فيما يرمز نهر دجلة الى الثبات ونهر الفرات الى العدل. وهكذا حلّ الرمز والمجاز محل الجغرافيا.

يبدو أن كتابات فيلون احدثت ثورة دينية. فقد أثّرت في المسيحيين ودفعتهم الى تبني عقيدة خلود النفس التي لا تمتّ الى الاسفار المقدسة بأية صلة. كما ان تعاليمه عن لوغوس (الكلمة) ساهمت في تطور عقيدة الثالوث، عقيدة غير مؤسسة على الاسفار المقدسة صاغتها المسيحية المرتدة.

بعد موت فيلون، لم يعر اليهود افكاره اهتماما يُذكر. أمّا العالم المسيحي فقد اعتنق تعاليمه. واعتقد بعض قادة الكنيسة ان فيلون اهتدى الى المسيحية، واعتبره واحدا من آباء الكنيسة. وبدل ان يخلّد اعماله اليهود، كان المسيحيون المرتدون هم الذين قاموا بتخليدها.

الخاتمة

نستطيع أن نقول . على حد تعبير ايميل برييه . كان فيلون يهودياً ّ حار الإيمان، يُحافظ على كل الشعائر والتقاليد الدينية لشعبه، وكان نشاطه وقفاً . كله تقريباً . على شرح الشريعة.

- كان التأويل الرمزي يجمع بين المرجعيات التوراتية والفلسفة اليونانية، وهو بمثابة منهج توفيقي بين الشريعة والفلسفة.
- كان فيلون بين منهج الفيلسوف العرفاني الساعي إلى إدراك الحقيقة الإلهية وبين رجل الدين الذي يسعى إلى تفسير النص الديني ليكشف عمق الحق الذي فيه.
- كان منهجه ينطلق من صدق الشريعة وعلو مكانتها، رغم أنّها الحقيقة، إلا أنه توسل بالفلسفة من أجلّ الشريعة لتسويغها والدفاع عنها لأنه كان يعتقد أنّ الدين هو الأصل، وأن الفلسفة ينبغي أن تكون شارحةُ ومفسرة لهً ، ويتخذ من الدين أصلا ويشرحه بالفلسفة.
- كان يؤمن بحق اليهود بالاختلاف، وأنهم أصحاب حضارة روحية مقابل فساد الحضارات المادية. ولهذا عمل على نقد الحكام الظالمين لهم.

- كان استخدامه للتفسير الرمزي في كثير من المواضع حتى يتخلص من صعوبات التفسير الحرفي، وطبعاً ّ كان يهدف في الأساس إلى الدفاع عن العقيدة الموسوية ضد من اتهموها بأنها كتابة أساطير
- حاول فيلون، من جانب آخر، تخليص الشريعة اليهودية من كل طابع سياسي، وتحويلها إلى شريعةّ أخلاقية. كما كان يرى أن كل يهودي بعد التشتت يجب أن يكون مواطناً في البلد الذي يُقيم فيهً .
- لم يكن فيلون يهتم بالسياسة، بل كان ميالا إلى العزلة والزهد، إلا أنه كان يأمل في حكومة قوية، إلى درجة تستطيع بها حماية حقوق اليهود